



قصة إسلامية :

## شيخ الأندلس

منقولة عن الإنجليزية

بقلم الأديب وهبي إسماعيل حقي

• مهادة إلى صديقي وأخي السيد محمود  
على عمرو مع هديري وإعجابي ... ..

كان الشيخ إدريس بن أحمد يقيم في إحدى المدن الأسبانية الجبلية التي يزدان بها شاطئ البحر الأبيض المتوسط، ذلك البحر الذي كان يحق أن يطلق عليه في ذلك العهد « بحر المسلمين » فقد كانت مياهه تتدفق في أراض إسلامية، وكانت أعلام المسلمين تخفق على شاطئه بالمدل والحربة والإخا، والمساراة، وتعلأ القلوب هيبة وتوقيراً للمؤمنين الذين عمرت أئمتهم بانثقة بالله فلكوا الدنيا ودان لهم العالم .

وكان منزل الشيخ في الجانب الساحلي من تلك المدينة كمبة القاصد وملاذ المحتاج ، وقد كان الشيخ واسع الفنى وافر الثروة ، وقد اصططح الناس على تسميته شيخ الأندلس لقناه الفاحش وراثته العريض ولم يكن قد ورث الفنى عن آبائه ولا عن أجداده ولا كان من الذين ولدوا رف أفواههم ملققة من ذهب كما يقول المثل ، ولكنه جمع هذه الثروة بجمده وكده حتى أضفى الذهب سليل من بين أصابعه

ولد إدريس من أبوين فقيرين في جزيرة العرب ، ونشأ في ظلال الحاجة وتربي في ربوع الفاقة ، لكنه نشأ قوى الإيمان ، صادق المزيمة ، متين الخلق ، وخاض معترك الحياة ، لا يعرف الللر ولا يتطرق إليه اليأس حتى وصل إلى قمة المجد في الفنى والجاه

ولكن في غير وطنه ؛ فقد أبى الحظ أن يقيم له في جزيرة العرب ، ورضن عليه حتى بلقمة الخبز يتبلع بها ، فكان ينتقل بين المدن والقرى يبحث عن عمل يستدر منه قوت يومه ، ولكن نحس الطالع كان يلازمه أينما حل ، وسوء المصير كان يتعقبه حيثما سار ، ومع ذلك لم يدع اليأس يتسرب إلى قلبه وكان دائماً يردد في ثقة المؤمن ، وإيمان الوائق قول الله تعالى « ولا تياسوا من روح الله إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون » وكان يحس في ترديدها برد الراحة واطمئنان القلب ، وهدوء البال ، وينسى ما يلاحقه من فشل ثم يبدأ جهاداً جديداً ، وهو أتم ما يكون يقيناً أن الله سيجهل بمدء سر يسراً .  
ولما طرقت كل المناطق في جزيرة العرب ، وانسدت في وجهه كل أبواب الرزق ، شخص إلى الشام ليجرب حظّه هناك ، ولينظر قضاء الله فيه ... ولكن الدنيا واتته في « سوريا » ونحوها فيها مجرى حياته ، فقد كان يؤدي صلاة الظهر في أحد مساجد دمشق فلما قضيت الصلاة ، وانتشر الناس في الأرض ، ولم يبق في المسجد إلا أفراد ممدودون ، انزوى في ركن من أركانه يجوار أحد الأعمدة ، وغرق في بحر من التأمل والتفكير ، فاسترعى نظره رجل إلى جواره ، مهيب الطلعة ، طلق الحيا ، جسيم وسيم ، فانتقل إلى جواره ، وبعد أن حياه قال له :

— من أى بلاد الله أنت أيها الشيخ ؟ فليس على وجهك طابع هذه البلاد ؟ فقال له إدريس :

— إني من بلاد الحجاز يا سيدي ، وقد صدقت فراستك .

— ولماذا زحرت إلى هنا ؟

— لأبحث لى عن عمل أرزق به

— أحميد القراءه والكتابة ؟

— ما أنا بقارىء ولا كاتب .

— وماذا تمهن إذن ؟

— إني ماهر في تربية الخيول وركوبها ، وحاذق في الرماية

وإصابة الهدف .

— عجيب جداً ! كيف تكون كما تقول ولا تجد لك عملاً ؟

— هي إرادة الله يا سيدي ، وليس هذا عملاً صريحاً عندنا

وعلى المسلم أن يرضى بما قسم الله له ، وأن يكذب ويصمى في طلب

قد طال غيابه عن أهله ووطنه ، فحمل في عودته كثيراً من التحف النادرة ، والهدايا الثمينة ، والأواني الذهبية ، ليتحف بها ذويه وعشيرته الذين برح به الشوق إليهم ، وكانوا جميعاً يقضون النهار في الراحة ورعى الدواب ، ويقضون الليل في السهر والحراسة .

ولهم لى أصيل يوم من الأيام يتأهبون لمعلمهم الليلي إذ لاح لهم عن بعد نقطة سوداء ، فوق صفحة الماء ، كانت تزداد كبراً ، كلما ازدادت منهم قرباً ، ولقد تبين فيها حراس الرفا سفينة صغيرة ، « للقراصنة » فبدلوا جهدهم لإبادةها عن الشاطئ ، ووزع الضباط رجالهم على الساحل ، ليتبادلوا الحراسة طول الليل ، وكذلك فعل رجال القوافل الذين كانوا في انتظار السفينة لتقلهم إلى الشاطئ الأسباني عند ما علموا أن المركب « للقراصنة » وأنهم سينالون منهم لا محالة ...

وقد أمر التاجر رجاله أن ينظموا خطط الدفاع والمقاومة ، وأن يتبادلوا مع إدريس المشورة والحراسة ، وكان الظلام قد أسدل ستراً كثيفاً على الخيام ، ولف الكون هدوء شامل ، عند ما فوجئ القوم بضجة وجلبة على الشاطئ ، وعلموا أن القراصنة أقرب إليهم من جبل الوريد ، فقد أرسوا سفينتهم ، ونزلوا إلى الأرض في مكان لم يقدر الحراس أنهم يستطيعون النزول فيه فأهلوا حراسته .

كان إدريس قد غادر موضعه إلى ظاهر الخيام ليقضى حاجته ، وترك رفاقه يحرسون المتاع ، وقد أخذوا الأهبة وأتموا الاستعداد ، ولكن القراصنة كانوا حريصين على أن يصلوا إلى أغراضهم عن طريق الحيلة من غير أن يستعملوا سلاحاً ، أو يريقوا دماء ؛ فهم يملكون أن المسافرين يكثرون من الأتباع لحراستهم وضيافتهم ، وأن هؤلاء الأتباع يستهويهم المال ، فنادى رئيس القراصنة وقائدهم قائلاً :

— أيها الحراس يا من ترافقون القوافل من أجل المال ا  
إني أعدكم أننا سنشاطركم متاع هؤلاء التجار إن أنتم التقيتم السلاح  
وعاونتمونا في حزم وحمل الأمتعة إلى الشاطئ . وستحملكم  
على سفينتنا إلى حيث تريدون .

(يشرح) وهي إسماعيل وهي

مضو البثة الألبانية بالأزهر العريف

العيش من وجهه حلال ، وما وراء ذلك فالأمر موكل فيه لله عز وجل .

— اسمع يا أخي !... إنني غريب عن هذه الأوطان ، وقد جئت هنا للتجارة ، وسأرجع إلى « الأندلس » وطني ومهبط رأسي بعد أيام قلائل ، وسأكون سعيداً إذا رافقتني إلى بلادى وقبلت أن تعمل معي .

— إنني أقبل شاكراً ، ولكن أى عمل نكحل إلى أدائه ؟  
— قد سمعتك تقول أننا إنك فارس مبدع ، وراشق ماهر .  
سيكون هذا عمالك ، لأنى سأنيط بك حراستى في حلى وترحالى .  
— ستجدنى إن شاء الله صابراً ، ولا أعصى لك أمراً .  
— ذلك ما كنا نبنى .

ولم تمض إلا أيام تمد على أصابع اليد حتى كانت إدريس يرافق القافلة الصغيرة إلى بلاد الأندلس ، ويقضى النهار في حث الإبل على مواصلة السير . فإذا ما جن الليل . . . وادلمت جوانب الكون ، حطوا رحلهم ، ونصبوا خيامهم ، وامتنحن إدريس ورفاقه سيوفهم ، وقضوا الوقت في حراسة المتاع ، والحفاظ على التاجر .

وبمدرحة شاقة ، وسفر ، بلغت القافلة مرفأ على الشاطئ الإفريقي المواجه لبلاد الأندلس ، اعتاد التاجر أن ينتقل منه إلى الشاطئ الآخر ، وكان إدريس — طوال هذه الرحلة — مثالا للرفيق الخالص ، والحارس الأمين ، دائب السهر على خدمة سيده ، مجدداً في تهيئة الراحة له ، حتى انزع إعجاب به ومحبه ، ونال رضاه وتقديره ، ولقد كان للبيئة الإسلامية التي تربى إدريس فيها كبير الفضل في غرس الصفات الحيدة والأخلاق الكريمة في نفسه ، فنشأ غلماً أميناً ، وفياً كريماً ، فانطوت القلوب على محبته ، وامتلات النفوس له احتراماً .

ولقد تهيأت الفرصة التي تجلى فيها إدريس على حقيقته ، وطبعت في قلب سيده حبه في أعنف مظاهره ؛ فقد حطت القافلة الرحال على نصف ميل من المرفأ في ليله اعتكر ظلامها ، وخبا نجمها ، وجعلت خيمة التاجر في الوسط ، وأحاطتها بسائر الخيام وكان عليها أن تمسك في هذا المكان أسبوعاً كاملاً إلى أن تعود السفينة التي تنقل المسافرين من شاطئ إلى آخر ، وكان التاجر

# سكك حديد الحكومة المصرية

## عرض الاعلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتها إلى المحطات فقامت بها لوحات خشبية أعدت خصيصاً لمرض الاعلانات فضلاً عن أنها تبذل جهوداً صادقة من وقت لآخر في تجميل تلك المحطات حتى أصبح الاعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية .

ونتقاضى المصلحة جنهين مصريين عن المتر المربع في السنة وهي قيمة زهيدة تكاد لا تذكر بجانب أهمية الاعلان الذي يتصفحه آلاف المسافرين في اليوم الواحد .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا: —

## بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — محطة مصر

مَطْبَعَةُ السَّيَّالِيَّةِ